

جامعة بيروت العربيّة
كلية الآداب
قسم اللغة العربيّة وآدابها

رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الآداب
قسم اللغة العربيّة وآدابها
تحت عنوان

الأدوات الثنائيّة ذات الوظائف المتعدّدة

دراسة تركيبية دلالية "في القرآن الكريم"

The Bilateral Particles Which Have Various Functions

A Syntactic Semantic Study "In The Holy Quran"

إعداد

ميرفت عدنان كركي

إشراف

الدكتور بشير فرج

الأستاذ الدكتور عبده الرّاجحي

٢٠٠٧ - ٢٠٠٨



الإهداء

إلى أوّل هَمْسَةٍ هَمَسْتُهَا ... أُمِّي

إلى أوّل كَلِمَةٍ كَتَبْتُهَا ... أَبِي

إلى هذا الشّائي الَّذِي ذَابَ - ولا يزالُ - حُبًّا ورعايةً وتضحيةً،

أرفعُ هذا العملَ المتواضعَ قُربانًا،

عَلَّني أسمو به قليلاً في سماءِ الأمومةِ والأبوةِ.

مُقدِّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد درج علماء العربيّة القدماء على تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف، وهو التقسيم الثلاثي المعروف. إلاّ أنّ أحدهم (ابن صابر الأندلسي) أضاف قسماً رابعاً سَمَّاهُ الخالفة* . كما صاغ الكوفيّون مصطلحاً جديداً سَمَّوه (الأداة). لكنّ تعبير (الأداة) لم يلق رواجاً عند النحاة، حيث غلب استخدام مصطلح (الحرف) الذي اصطنعه البصريّون، وظلّت تسمية (حروف المعاني) هي الأكثر شيوعاً. ومع هذا، فقد أدرك علماء العربيّة القدماء والحدثون أهميّة علم الأدوات، فأولوه عنايتهم الفائقة ودرسوه دراسة جادة أثمرت كتباً كثيرة، حملت إلينا أسس هذا العلم وقواعده. ويظنّ النَّاسُ أنّ هذا العلم ما يزال مرهوناً بالمرادِيّ في كتابه (الجنى الدّاني) وبابن هشام في كتابه (مغني اللّبيب). إلاّ أنّ هذين الكتّابين - مع نضجهما في هذا المجال - لا يرقيان إلى التّمثيل الحقيقيّ لجانب الأدوات، ولا يعبران تعبيراً دقيقاً عن مشكلاته وظواهره واتّجاهاته في المجالات اللّغوية المتعدّدة. بل يفتقران إلى المعاني الكثيرة والدّلالات الغنيّة التي تميّز هذا القسم من أقسام الكلام. ولست أدعي الرّيادة في هذا الميدان، فقد سبقني محاولات متعدّدة لبعض القدماء والمعاصرين، ولكنّ معظمها كان جزئيّاً.

* أطلق الفراء هذا المصطلح على اسم الفعل، واعتبره أحمد بن صابر الأندلسي قسماً رابعاً للكلم. [تمام حسان ٨٩] وأحمد بن صابر، هو أبو جعفر التّحوي، الذّاهب إلى أنّ للكلمة قسماً رابعاً وسَمَّاهُ الخالفة. قرأ عليه أبو جعفر بن الزّبير، وكتبه أبو جعفر وليس "أبو صابر". [السّيوطي: بغية الوعاة ٣١١/١]

ولما كان علم الأدوات يحتاج إلى دراسة من نوع خاصّ، فقد حرصت في بحثي هذا على اختيار جانب من هذه الأدوات، وهو الأدوات الثنائية، أي الأدوات التي تتألف من حرفين فقط، التي تقوم بوظائف نحويّة متعدّدة تؤدّي إلى اختلاف في المعاني والدلالات. ودرستها دراسة تركيبية، تتطلّب تحديد الأداة وتحديد موقعها والكشف عن وظيفتها في الجملة وفقا لعلاقتها بالكلمات الأخرى، إضافة إلى الدّراسة الدلالية التي تلقي الضّوء على الدلالات المتعدّدة لهذه الأداة، التي تختلف باختلاف السّياق أو المجال اللّغوي. الأمر الذي يهدينا في النّهاية إلى المعنى المقصود، وهذه هي الغاية التي أهدف إليها في هذا البحث. وتجدر الإشارة إلى أنني أخرجت من البحث تلك الأدوات التي تقوم بوظيفة نحويّة واحدة.

وتظهر أهميّة الهدف المنشود من خلال ارتباط هذه الدّراسة بالقرآن الكريم، الذي لا بدّ من تحديد دلالات ألفاظه وفهمها فهما دقيقا لمنع العبث بمفاهيم النصّ القرآني وأحكامه الشرعيّة.

وقد بدأت رسالتي كما يجب، بمقدّمة عرّفت فيها بالموضوع وأهميّته ومحتوياته، وبتمهيد قدّمت فيه إطارا نظريّا يضمّ تحديدا لمصطلحات البحث، وإشارة إلى حدود المادّة ومشكلاتها، و الدّراسات السّابقة، إضافة إلى تعريف بالمنهج المعتمد في هذا البحث وطريقة العرض فيه.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى فصول جاءت على التّحو الآتي:

● **الفصل الأوّل: وظيفة الاستفهام وما يصاحبها. ويضمّ الأدوات:**

- كَمْ.
- مَنْ.
- هَلْ.

● الفصل الثاني: وظيفة النفي وما يصاحبها. ويضمّ الأدوات:

- لا.

- ما.

● الفصل الثالث: وظيفة الشرط وما يصاحبها. ويضمّ الأدوات:

- إن.

- لو.

● الفصل الرابع: وظيفة العطف وما يصاحبها. ويضمّ الأدوات:

- أم.

- أو.

- بل.

● الفصل الخامس: وظائف متفرقة. ويضمّ الأدوات:

- إذ.

- أن.

- قد.

- ها.

وقد عرضت في الخاتمة، الخصائص التي اشتركت فيها بعض الأدوات ضمن النتائج والحقائق التي توصلت إليها. كما ألحقت بهذه الرسالة فهرسا للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي.

وقد كانت مصادر هذا البحث كثيرة، عمادها كتب في معاني الأدوات مثل: (الأزهيّة) للهرودي، و(رصف المباني) للمالقي، و(الجنى الداني) للمرادي، و(معني اللبيب) لابن هشام. وكتب في النحو أبرزها: (الكتاب) لسيبويه، و(المقتضب) للمبرّد. إضافة إلى كتب في التفسير أهمها تفاسير الطبري والزّحشري والرازي والقرطبي.

ولم يكن لي ما أنجزت إلا بعون الله - عزّ وجلّ - وعظيم هديّه وتوفيقه، وبمساندة أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبده الرَّاجحي، الذي تكرّم بالإشراف على هذا البحث، حيث أقالني حين عثرت ووضّح لي ما جهلت وأخذ بيدي إلى الطّريق الصّحيح السّليم.

وبعد، فهذا عملي وهذا جهدي في سنوات، فإن أكنّ وُقِّت وحققت الغاية فلله الحمد، وإن لم يكن فالكمال لله وحده، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

الأداة لغة: الآلة الصغيرة (المعجم الوسيط: أدَوَ)، والجمع أدوات (الصّحاح: أدَوَ)، وأداة الحرب سلاحها (لسان العرب: أدَوَ) ولكلّ ذي حرفة أداة.

ولما كانت الأداة الآلة التي تُقيم الحرفة، فإنّ الأداة الكلمة التي تُقيم الكلام وترتبط بين أجزائه، إضافة إلى وظائفها الأخرى في المفردات والجمل.

ولا يمكننا في الواقع أن نقدّم تحديداً نهائياً لمدلول الأداة اصطلاحاً، فمفهوم الأداة عند النحاة غير مستقرّ يحتاج إلى دراسة دقيقة تنتظم آراء النحاة وتفصّل اتجاهاتهم.

وهناك خلافات كثيرة بينهم في هذا المفهوم ومدلوله، فسيبويه لم يورد في كتابه ذكراً للأداة، بل أورد ذكر الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وجعل منه ثمّ وسوف وووا القسم. [سيبويه

(١٨٠هـ) ٢/١]

والمبرد يفهم الأدوات فهما خاصّاً بمعنى العوامل، كقوله: اعلم أنّ الأفعال أدوات للأسماء تعمل منها كما تعمل الحروف. [المبرد (٢٨٥هـ) ٨٠/٤]

والزجاجي يعقد في الإيضاح باباً خاصّاً يتحدّث فيه عن خلافات النحاة في تحديد مفهوم الحرف. [الزجاجي (٣٣٧هـ) ٥٥]

وابن يعيش يورد خلافات كثيرة واعتراضات في طبيعة الحرف وحدوده. [ابن يعيش (٦٤٣هـ)

٥ - ٢/٨]

أمّا ابن مالك (٦٧٢هـ) فيقول: [ابن عقيل (٧٦٩هـ) ١٨/١]

كلامنا لفظ مفيدٌ: كاستنمٌ واسمٌ، وفعلٌ، ثمّ، حرفٌ الكلم

وفي العصر الحديث عرض عدد من العلماء لتقسيم الكلمة فوجد الدكتور تمام حسان، في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، أن التفريق بين أقسام الكلام على أساس من المبني (الشكل) أو المعنى (الوظيفة) فقط ، ليس بالطريقة المثلى. ورأى أن أمثل الطرق هي التفريق على أساس الاعتبارين (المبني والمعنى) مجتمعين ووفقا لهذا التقسيم ظهر عنده مصطلح "الأداة". [تمام حسان ٨٧]

وعرض الدكتور مهدي المخزومي في كتابه (مدرسة الكوفة) رأيا للمحدثين يذهبون فيه إلى أن الأدوات النحوية التي تستعملها اللغات ليست إلا بقايا من كلمات مستقلة قديمة أُفرغت من معناها الحقيقي واستعملت مجرد موضّحات أي مجرد رموز، وقبل أن تصير أداة كانت قد مرّت بتاريخ طويل مجهول، أخذت تتخلّى فيه عن مدلولها الأصلي شيئا فشيئا وبطريقة غير محسوس بها، وأخذت تصطنع لنفسها وظيفة خاصّة وحكما جديدا.

وكان البصريّون يسمّون الأدوات حروف المعاني لأنّ كلّ واحد منها يفيد معنى من المعاني، كلاستفهام والابتداء والاستعلاء والمجاورة والاستدراك...

وكان الكوفيون يسمّونها أدوات لأنّها أصبحت رموزا مجردة لا تدلّ على معنى مستقلّ بحيث يمكن التعبير عنه أو ترجمته ولا يظهر معناها إلا إذا اتّخذت لنفسها مكانا معيّنا في الجملة. [مهدي المخزومي

[٢٠٦ - ٢٠٧]

ويضيف: "إنّ الكوفيّين سمّوا الحرف أداة لسبيين، الأوّل: مغايرة بين لفظ يُطلق على أحد حروف الهجاء ولفظ يطلق على أحد حروف المعاني. والثاني: أنّ الأدوات عندهم هي حروف المعاني كـ "هَلْ" و"بَلْ"، وهنّ أدوات يستعان بهنّ على التعبير عن الاستفهام والإضراب وغيرها. فهم إذن أدقّ من البصريّين في

مصطلحهم هذا لأنّ الحرف يطلق على الكلمة أيضا كما جاء في مواضع كثيرة من كتابه وكما جاء في

كلام الفراء وغيره". [مهدي المخزومي ٢٤٢]

وذكر الدكتور فاضل السّاقى: "إنّ النّحاة العرب حين قسّموا الكلم إلى اسم وفعل وحرف، قد اتّبعوا ما جرى عليه فلاسفة اليونان والمناطق، ومعنى ذلك أنّهم لم يراعوا في تقسيمهم هذا خصائص الكلمات العربيّة ذاتها ليقسّموا على أساسها، وإنّما تأثّروا بفلسفة اليونان ونظرتهم إلى الموجودات، فأخضعوا اللّغة

لمنطق غير منطقتها ولقوانين لا تمتّ لها بأية صلة". [فاضل السّاقى ١٠٨]

وهناك خلاف أكبر بين الذين صنّفوا كتباً مستقلة في الأدوات، ولعلّ نظرة فاحصة في كتب (اللامات) و(منازل الحروف) و(الأزھية في علم الحروف) و(رصف المباني في شرح حروف المعاني) وغيرها مما وصل إلينا، تقفنا على الاختلاف الكبير في طبيعة فهم هؤلاء للأدوات واضطرابهم، بل تناقضهم أحيانا.

كما أنّ كتابي (الجنى الدّاني في حروف المعاني) و(مغني اللّبيب) لم يسلما من الاختلاف في تحديد هذا المفهوم، على الرّغم من تطوّر منهجيهما ونضجهما.

والأدوات بعضها مبنيّ من حرف واحد مثل: الباء والفاء واللام... وبعضها مكوّن من حرفين مثل: مَنْ، ما، هلّ، وكم... وبعضها الآخر مكوّن من ثلاثة أحرف أو أكثر مثل: على، كيف، إذا، عندما، وأتى...

وهذا البحث مخصّص لدراسة الأدوات الثنائية فقط.

وتقسم هذه الأدوات إلى قسمين هما: الأدوات المهملة والأدوات العاملة.

الأدوات المهملة:

ويراد بها الأدوات التي لا تقتضي تأثيراً لفظياً فيما بعدها، فلا ترفع ولا تنصب ولا تجرّ ولا تجزم وإنما لها دور وظيفي وتأثير معنوي ظاهر في تركيب الكلام وتأليفه، تختلف بموجبه الأساليب ومعاني النصوص ودلالاتها.

ويمكن تقسيم هذه الأدوات إلى أدوات مختصة وأدوات غير مختصة.

فالأدوات المختصة تلازم في استخدامها الأسماء مثل (ها) أو الأفعال مثل (قد) فلا تبرحها وتنزل منزلة الجزء منها فلا تعمل فيها، أو تقتضي جملة أو جملتين مثل (إذ) يتمّ بهما معناها وتحقق فائدتها الوظيفية. أمّا الأدوات غير المختصة، فهي التي لا تلتزم موقعا واحدا في تكوين الكلام ويكون لها في الغالب أكثر من استخدام، فتباشر الأسماء والأفعال أو تقتضي جملة أو اثنتين، وتقترن بأداة أخرى أو تدخل على الاسم والأداة، أو على الفعل والجملة، أو تكون في غير ذلك من الحالات الممكنة في الاقتران بأحد العناصر التي تؤلّف التركيب.

ومنها: أم - أن - أو - بل - كم - لا - لو - ما - من - هل - يا.

الأدوات العاملة:

وهي الأدوات التي تحدث أثرا لفظياً فيما بعدها من الأسماء والأفعال، وتصيغ التركيب بألوان مختلفة من المعاني والدلالات التي ينشدها المتكلم ويقتضيها التعبير.

ومنها الأدوات الجارة: كي.

والجازمة: التي تجزم فعلا واحدا (لم) أو التي تجزم فعلين (إن - لا التاهية - ما - من).

والتأصبة التي تختص أيضا بالدخول على الأفعال مثل (أن - كي - كن).

ومنها التي تعمل الرفع والتصب مثل (إن النافية العاملة عمل "ليس" - لا النافية للجنس - ما الحجازية).

ولما كانت الأدوات تقوم بعمل عام هو "التعليق" أي الربط بين أجزاء الجملة، فكان لا بد من دراستها دراسة تركيبية يتم من خلالها تحديد كل أداة وتحديد موقعها والكشف عن وظيفتها في الجملة وعلاقتها بالكلمات الأخرى. كما كان لا بد من دراستها دلاليًا بإلقاء الضوء على دلالاتها المتعددة التي تختلف باختلاف السياق، الأمر الذي يهدينا في النهاية إلى المعنى المقصود.

فالأدوات جميعا ليس لها معان معجمية بل لها وظيفتان أساسيتان:

الأولى وظيفة نحوية، وهي تحقيق الترابط بين مكونات الجملة أو الكلام، سواء كانت عاملة أو غير عاملة. والثانية وظيفة دلالية معنوية، وهي الإسهام في تحديد دلالة السياق.

ونحن نقصد الوظائف التحويلية المتعددة أي ما كان يسميه القدماء (معاني التحو) كالاستفهام والتثني والشرط وغيرها. لذلك فإن الأداة ذات الوظائف المتعددة هي الأداة التي تكون صالحة لأن تقوم بأكثر من وظيفة نحوية واحدة، من هنا تصبح صالحة لأن تعبر عن أكثر من معنى واحد، وهذا التعدد والاحتمال الذي يتسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد هو الذي يجعلنا نسعى وراء القرائن اللفظية والمعنوية لنرى أن المعاني المتعددة لهذا المبنى هي المقصودة. لذا تجدر الإشارة إلى أنني أخرجت من البحث، الأدوات ذوات الوظيفة التحويلية الواحدة في التص الكريم الذي استندت إليه، مثل (أي- كي- لن- لم...)

كما نقصد بالدلالات، الدلالات التحويلية أو التركيبية التي تؤديها الأداة، في كل وظيفة وفي كل نط. هذه الدلالات هي التي تكلم عنها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في كتابه دلائل الإعجاز عندما عرض لنظرية النظم. فأوضح أن دلالات الألفاظ لا تظهر إلا من خلال التركيب، وضم لفظ إلى لفظ آخر ووضعه في مكانه الصحيح. فقال: "ينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن

تصير إلى الصّورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرًا ونهيا واستخبارا وتعجبًا، وتؤدّي في الجملة معنى من المعاني لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضمّ كلمة، وبناء لفظة على لفظة". كما ذكرها ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ)، عندما نظر إلى اللّغة من خلال الدّلالة النّحويّة التي تتشكّل عنده من الصّوت والصّيغة والمعنى.

[أحمد الكراعين ٩٩] ونستطيع أن نفهم مثل هذا الكلام من قول فندريس الذي يرى أنّ الكلمة لا توجد منعزلة في الذّهن اطلاقًا بل تكون جزءًا من مجموعة ذات امتداد ما نستعير منها قيمتها. فالجموعة هي الأصوات والأبنية الصّرفية، وذات امتداد هو التّركيب الذي يعطي القيمة أي المعنى. [فندريس

[٢٤١]

وَمَا سبق يتّضح أنّ معنى الجملة لا يتأتّى من معاني مفرداتها المعجميّة فقط ولكن من العلاقات النّحوية القائمة بين هذه المواد.

وبما أن دراسة معاني الكلمات ودلالاتها تتطلّب تحليلًا للسياقات أو المجالات التي يرد فيها الكلام، كان لا بدّ من دراسة الأداة في إطار سياقاتها المختلفة. فالأداة لها معنى أساسي ومعنى سياقيّ، المعنى الأساسيّ هو المعنى الذي يقدمه المعجم وهو عادة معنى عامّ متعدّد، يتّصف بالاحتمال، على أنّ المعنى الذي يقدمه السياق وبالأخصّ السياق اللّغوي، هو معنى معيّن له حدود واضحة وسمات محدّدة غير قابلة للتّعدّد أو الاشتراك أو التّعميم. لذا يقال إنّ الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في السياق أو المجال اللّغوي. هذا السياق اللّغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتجاوز مع كلمات أخرى في التّركيب، مما يكسبها معنى خاصًا محدّدًا. والجدير بالذكر أنّ السياق اللّغوي هذا، هو الذي

يوضّح الكثير من العلاقات الدّلالية. [نسليم عون ١١٦ - ١٥٩]

ومن أمثلة الأدوات النّائبة ذوات الوظائف المتعدّدة، الأداة "مَنْ" الّتي تكون شرطية في قوله تعالى {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} (النساء ١٢٣) واستفهامية {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (المؤمنون ٨٨) وموصولة {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج ١٨)

ومن الأمثلة أيضا الأداة "إِنْ" فهي للّتي في قوله تعالى {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ} (المجادلة ٢) وفي {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} (الكهف) كما تكون شرطية {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال ٩) وأحيانا تقترن بلا النافية {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التوبة ٣٩) وعندما تكون مخففة من الثّقيلة يجوز إعمالها

وإعمالها إن دخلت على الجملة الاسمية { إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ }

(الطارق ٤) وتُهمَل وجوبا إن دخلت على الفعل { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } (البقرة ١٤٣)

وترد "إن" زائدة بعد ما التافية، وما المصدرية، وألا الاستفاحية، وقد اجتمعت الشرطية والتافية في قوله

تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ }

زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا غَفُورًا } (فاطر ٤١) وغير ذلك من الأمثلة.

ولما لم يكن القرآن الكريم إلا نعمة من الله تعالى على خلقه، وكتابا مستقيما في لفظه وواضحا في معناه ودلالاته، فقد وجدت أن تقتصر دراستي في هذا البحث على شواهد من آياته الكريمة التي لا اعوجاج فيها ولا تناقض.

كما أضحي القرآن الكريم جديرا بالدراسة، لأن الاختلاف في فهم النص القرآني سيترتب عليه اختلاف في التفسير أو اختلاف في الحكم الفقهي. لذا كان لا بد من تدبر كلماته، وأدواته خاصة، والتفكير فيما تحمله من المعاني، عن طريق تحديد الوظائف المتعددة لكل أداة، وربط كل وظيفة بسياقاتها الخاصة اللغوية والموقفية، وكذلك بمناسبة المختلفة ومجالاتها المتعددة.

خاتمة

لقد أراد هذا البحث أن يتبين الوظائف المتعددة للأدوات النثائية، وأن يربط كل وظيفة بسياقاتها الخاصة اللغوية والموقفية، وكذلك بمناسباتها المختلفة، وذلك لما لهذا التعدد من تأثير على فهم المعنى وبخاصة فيما يتصل بالقرآن الكريم ولما يترتب على ذلك من اختلاف في التفسير أو اختلاف في الحكم الفقهي. وكان له، بعون الله تعالى - فيما أرجو - ما أراد، إذ أكد بعض الحقائق وتوصل إلى أخرى:

- الأداة مبني تقسيمي يؤدي وظيفة نحوية عامة هي "التعليق".
- تعدد المعنى الوظيفي لمبنى الأداة ضمن إطار الوظيفة الأساسية "التعليق"، فالأداة "ما" تؤدي وظائف نحوية مختلفة تتضح من خلال التركيب التحوي للجمل والأساليب، فقد جاءت حرف نفي، أو حرفا كافاً، أو حرفا زائداً، كما جاءت اسم استفهام واسم موصول واسم تعجب. وعلى الرغم من تعدد وظائفها النحوية هذه، فهي لم تخرج عن كونها أداة ولم تؤدّ غير وظيفة الأداة.
- تعدد المعنى الوظيفي لمبنى الأداة بخروجه عن أداء وظيفة التعليق إلى أداء وظيفة أو وظائف أخرى تستفاد من السياق وتحدها القرائن. من ذلك الأداة "هل" إحدى أدوات الاستفهام التي أدت وظائف معنوية كالتقرير والتفي والطلب، وقد أدركناها من خلال السياق اللغوي.
- أدت طائفة من الأدوات وظيفة خاصة سُميت الأدوات باسمها، فالتفي والاستفهام والشرط مثلاً، ووظائف خاصة أدتها أدوات خاصة بالتفي (لا- ما) وأدوات خاصة بالاستفهام (كم- من- هل) وأدوات خاصة بالشرط (إن- لو). واشتركت أدوات أخرى غير خاصة بتأدية هذه الوظائف،

- فالأداة "ما" الخاصة بالنفي، أدت وظيفتي الاستفهام والشَّرط مثلاً، و"إن" الشرطية أدت وظيفتي النفي والتوكيد، و"من" الاستفهامية أدت وظيفتي الشَّرط والصَّلَة أيضاً، وهكذا.
- من ناحية ثانية، انفردت بعض الأدوات بوظائف لم تشاركها فيها أدوات أخرى، مثل: "ها" التَّنبيهية والأمرية، و"إذ" الظرفية، و"كم" الخبرية، و"أن" التفسيرية.
 - اشتركت بعض الأدوات بورودها وفقاً لنمط متشابه، من ذلك: استخدام الأدوات (إن- ما- من- هل) مؤدبة ووظيفة النفي وبعدها "إلا" التي تنقض النفي، قصداً لإثبات حكم قاطع وتأكيده.
 - طائفة من الأدوات المشتركة في الوظيفة، اشتركت أيضاً بورودها في سياق أو مجال دلاليّ خاص، من ذلك:
 - أدوات الشرط (إن- لو- ما- من) في مجال الأحكام الشرعية.
 - أدوات الاستفهام (كم- ما- من- هل) في سياقات عرض الحقائق، ومجادلة المكذّبين، والحديث عن الأمم السابقة والاعتبار بمصائرهما.
 - طائفة أخرى من الأدوات المختلفة الوظائف، اشتركت في مجال دلاليّ معيّن:
 - "إذ" الظرفية و"لا" التاهية، في مجال الدعاء.
 - "لا" التاهية و"هل" الطلبية، في مجال النصح.
 - اقترنت أكثر الدلالات بسياقات أو مجالات معيّنة:
 - التنبية والحث والإغراء، في مجال النصح.
 - التخويف والإنذار، في مجال القصص والحديث عن الأمم السابقة ومصائرهما.

- الاستهزاء والسخرية والتوبيخ والتّحدّي والتّعجيز، في مجال مجادلة المخاطبين المكذّبين.

- التّقدير والإثبات والتّقوية، في مجال توحيد الله تعالى وتعظيمه.

- التّهديد والوعيد، في مجال الحديث عن يوم القيامة.

وهكذا، فإنّ الوظائف التّحوّية والمعنويّة والدّلالية المختلفة، كلّها وظائف لا تُدرّك إلّا باستخدام الأدوات، ولا تُدرّك بغيرها، كما أنّ ذلك كلّه يجب أن يُعالج في إطار المجال الدّلالي الذي ترتبط به، وبالسّياق الذي ترد فيه.

والحمد لله أولاً وآخراً.